

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية

كلية أصول الدين

قسم العقيدة و مقارنة الأديان

السنة الأولى ماستر

تخصص: عقيدة

السداسي الثاني

مادة : الفكر الإصلاحى فى الجزائر

أ.د. عمار طسطاس

بسم الله الرحمان الرحيم

الفكر الإصلاحي في الجزائر

المحور الأول / تحديد المفاهيم : الفكر النهضوي والفكر الإصلاحي .

1- الفكر النهضوي

أ- **النهضة لغة** : لها "أصل يدل على حركة في علو.. نهض من مكانه قام.." (ابن فارس :مقاييس اللغة ج5 \ 363).

والنهوض :البرأخ من الموضع والقيام به . نهض نهضا ونهوضا وانتهض أي: قام ، (...) وانتهض القوم وتناهضوا ، ونهضوا للقتال . وأنهضه : حركه للنهوض واستنهضته لأمر كذا إذا أمرته بالنهوض .. " (إبن منظور :لسان العرب ، ج7/ص 245).

فالنهضة أو النهوض ، حركة وقيام واستجماع للقوة ، ولا تشد في شيء عن المصطلحات والمعاني السابقة . وإن لم يكن لها استعمال في القرآن ، فإنها مستعملة في السنة في كتب وأبواب الصلاة وهيأتها ، فهي حديث أبي قلابة " .. كأبو بُريد إذا رفع رأسه من السجدة استوى قاعدا ثم نهض " (رواه البخاري).

ونجد لها استعمالا أيضا في الحروب ولقاء العدو فعن أنس فيما رواه الإمام البخاري: " حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر - واشتد استعمال القتال - فلم يقدرُوا على الصلاة ، فلم نصلي إلا بعد ارتفاع النهار " .

كل ذلك يدل على المعاني اللغوية السابقة ، من حركة وقيام قوة واستعداد.

ب- **النهضة اصطلاحا** : إلا أننا مع مصطلح "النهضة" وبسبب الاستعمال

الكثير له في منتصف القرن التاسع عشر ، حتى غدا علماً على مرحلة فكرية قادها جيل من المفكرين يدعون بـ "رواد النهضة".

نجد أن المصطلح لم يحافظ على مضمونه الأصيل الذي كان يعكس فعلا حلما ورغبة عند هذا الجيل في تحريك المجتمع وقيامه ، وجعله في مصاف الأمم القوية والمتقدمة ، ولكن حمل مضمونا آخر وعلى الأقل التبس به ، سواء نقله بعض أولئك الرواد ، أو انتقل من ضمن ما انتقل مع حركة الاستعمار العسكري و الغزو الفكري .

ولعل هذا ما جعل الجابري يعتبر أن كلمة "نهضة" من المصطلحات الجديدة في اللغة العربية ، وقصده مضمونها ودلالاتها الجديدة ، فاللفظ في اللسان العربي قديم بدلالته التي مرت معنا .

يؤكد هذا حديث الكاتب بعد ذلك عن المضمون الذي نقلته هذه الكلمة إلى لغة الضاد والإشكال الذي يطرح على مستوى الترجمة .. "مضمون الكلمة الفرنسية Renaissance منظور إليه كمشروع مستقبلي عربي ، وهنا تكمن إحدى التناقضات بين الفكر الأوروبي ومفاهيمه ، والفكر العربي الحديث ومصطلحاته المترجمة . إن مصطلح Renaissance (نهضة) ويعني لغويا "ميلاد جديد" ، ظهر في اللغة الفرنسية في مطلع القرن التاسع عشر في حين أن "الميلاد الجديد" الذي يشير إليه قد ظهر في إيطاليا ليعم بعد ذلك أوروبا في القرن الخامس عشر والسادس عشر ، وهو يتمثل في قيام حركة تجديد واسعة وعميقة طالت الفنون والعلوم والآداب وبما في ذلك الدين المسيحي المتمثل في الإصلاح البروتستانتي ، وقد انطلق هذا "الميلاد الجديد" من العودة إلى الميراث اليوناني – الروماني المادي الوثني السابق على دخول النصرانية إلى أوروبا بعد ألف سنة .

مما جعل حركة النهضة Renaissance حركة تجديدية بمعنى الكلمة ، بل ميلاد جديد لقارة ظلت شبه ميتة طول القرون الوسطى ، فيما عرف عند الأوروبيين بالعصور المظلمة طيلة سيادة الكنيسة على جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية والروحية والاقتصادية والحضارية .

2- الفكر الإصلاحى :

إن مفهوم الإصلاح في المنظور القرآني هو عملية تغييريه شاملة ترمي إلى تقويم الاعوجاج في العقيدة والعبادة والسلوك ، في الفرد والأسرة والمجتمع ، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في بيان "الإصلاح" المنشود الذي هو غاية العلماء المصلحين الذين هم ورثة الأنبياء في هداية الناس إلى ما فيه فلاحهم في الحياتين: "إن الإسلام في جوهره لإصلاح عام من الله به على العالم الإنساني ، بعد أن طغت عليه غمرة حيوانية عارمة ، اجتاحت ما فيه من فطرة صالحة ركبها رب العالمين ، وما فيه من أخلاق قيمة و شرائع عادلة ، قررها الهداة من الأنبياء والمرسلين والحكماء المصلحين ، وصحبتها غمرة وثنية وقفت في طريق الفكر فعاقته عن التقدم ، وابتلته بما يشبه الشلل ، وقطعت الصلة بين الإنسان وخالقه ، وعبدت بعضه لبعض ، ثم عبدته للأصنام ، وعبدته للأوهام ، ولكن الله تداركه برحمته ، فجاء بالإسلام بعد هذه الغمرات مداها وبلغت حدها ، واستشرف لحال خير من حاله ونور يجلو ظلمته ، وكان ذلك النور هو الإسلام" .(سجل مؤتمر جمعية العلماء سبتمبر 1935م)

أولا \ نهضة الجزائر الحديثة ، النشأة و التطور و الرواد :

لا يخفى على ذي عقل راجح أن المشروع الاستعماري الفرنسي منذ أن حط الاحتلال رحاله على أرض الجزائر سنة 1830 ، أنه دخل بلادنا بالعنف و الحديد و النار وحتى يقر له القرار لأبد من إفراغ المجتمع الجزائري من كل أسباب القوة المادية و المعنوية و تسليط الثالوث المدمر عليه :الجهل و الفقر و المرض .

لكن الملاحظ على المجتمع الجزائري لم يسلس قياده للفرنسيين بل واجههم بالمقاومة المسلحة أولا و أتبعها بالمقاومة الثقافية ثانيا طيلة القرن التاسع عشر ، ثم انتقل في مطلع القرن العشرين إلى التركيز على الإصلاح الثقافي الواسع لغة و دينا و إصلاحا و سياسة استعدادا لتدمير الآلة الاستعمارية في أكبر ثورة تحريرية في بداية النصف الثاني من القرن العشرين في العالم بأسره ثورة أول نوفمبر 1954 م .

- بوادر النهضة و بذورها في القرن التاسع عشر :

رغم الانحطاط الحضاري العام الذي كان يلف العالم الإسلامي مشرقا و مغربا إبان القرن التاسع عشر الذي جعل هذا العالم لقمة سائغة للاستعمار الأوروبي ، إلا أن بذور النهضة ثاوية في أحشاء الأمة مشرقا و مغربا و متبادلة للوعي و التأثير الفكري الإيجابي و هكذا كان شأن بلادنا منذ فجر الاحتلال و حتى بزوغ شمس الاستقلال عام 1962 م .

و تعتبر البذرة الأولى هي المقاومة الجهادية للاحتلال و المحاولات الفكرية للأمير عبد القادر و النظرة الثاقبة في معرض دعوته إلى رفض التقليد و إعمال النظر : " و المتبوعون من الناس على قسمين : قسم عالم مسعد لنفسه ، و مسعد لغيره ، و هو الذي عرف الحق بالدليل لا بالتقليد ، و دعا الناس إلى معرفة الحق بالدليل لا بأن يقلدوه ، و قسم مهلك لنفسه و مهلك لغيره ، و هو الذي قلد آباءه و أجداده فيما يعتقدون و يستحسنون و ترك النظر بعقله ، و دعا الناس لتقليده ، و الأعمى لا يصلح أن يقود العميان ، و إذا كان تقليد الرجال مذموما غير مرضي في الاعتقادات ، فتقليد الكتب أولى و أحرى بالذم و أن بهمية تقاد أفضل من مقلد ينقاد ، و أن أقوال العلماء و المتدينين متضادة متخالفة في الأكثر ، و اختيار واحد منها و أتباعه بلا دليل باطل ، لأنه ترجيح بلا مرجح فيكون معارضا بمثله "

(ذكرى العاقل للأمير :ص 6 ، 7)

و في المنفى بسوريا انتسب الأمير عبد القادر إلى حركة الإصلاح الإسلامية العالمية في ذلك الوقت و هي الجمعية السرية السياسية التي أسسها جمال الدين الأفغاني (ت 1897) والتي تسمى بالعروة الوثقى ، و في ذلك يقول الشيخ رشيد رضا : " و قد كان من أعضائها الأمير عبد القادر الجزائري و من اختار من أنجاله و رجاله " (تاريخ الأستاذ الإمام : ص 283)

- انتشار البدع و الخرافات في المجتمع :

أدى انتشار البدع و الخرافات و الاعتقادات الوهمية ، و طغيان الطريقة الحاملة لهذه الأوبئة المعنوية إلى رد فعل من قبل جماعة من الفقهاء و العلماء السنيين الذين ألتمهم هذه الحال المزرية ، و أقلق ضميرهم سوء الحياة الاجتماعية و انتشار الضلالات و العودة إلى الجاهلية ، و هؤلاء كانوا هم الرواد الأوائل للإصلاح الديني الأخلاقي و الاجتماعي في أرض الجزائر ، و هناك دواع خارجية ساعدت على انتشار روح الإصلاح و محاربة البدع آتية من المشرق و عودة الاتصال الفكري و الثقافي بينه و بين المغرب عبر وسائل الصحف و الكتب و المجالات و رحلات الحج ، حيث تقع فيه لقاءات و اجتماعات لتدارس شأن المسلمين مشرقا و مغربا ، بالإضافة إلى البعثات الطلابية غربا نحو القرويين بفاس و شرقا إلى الزيتونة و الجامع الأزهر .

__ و من العلماء الذين حاولوا تحريك المجتمع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الشيخ صالح بن مهنا بقسنطينة ، يقول عنه مالك بن نبي في كتاب شروط النهضة : " فإن مناجاته للضمير كادت توظف أهل قسنطينة كلها حوالي 1898 فعملت الحكومة الفرنسية على إبعاده ، و صادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن و له مؤلفات كثيرة . "

__ و الشيخ عبد القادر المجاوي (1848- 1913 م) التلمساني الذي استقر للتدريس و الدعوة بقسنطينة حوالي 1869 إلى 1913 سنة وفاته بها . و الذي ألف كثيرا من الكتب المدرسية و التربوية مما يدل على أنه ذو اهتمام بالغ بالتربية و على أن الإصلاح في نظره إنما يتم عن طريقها .

ألف كتاب " إرشاد المتعلمين " و طبعه بمصر ، و " المرصاد في مسائل الاقتصاد " ، و شرح منظومة في إنكار الفساد الاجتماعي أسماه " اللمع على نظم البدع " من تأليف الشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة و قدم لشرح هذه المنظومة بمقدمة ذات أهمية في بيان ضرر البدع ، و ضرورة النهضة العلمية و قرر أن السبب الرئيسي في النهضة إنما هو العلم و تشتمل المقدمة على مبحث في الحكمة و العلم ، و مبحث في التربية يقول فيه : " و ما كثر الفساد في أمة إلا بعدم تربية الأولاد فإننا نرى الأولاد مهملين يتعلمون الفساد ... و إننا نرى الأمم الحية إنما حصل لها الرقي بتربية أولادهم و تعليمهم العلوم النافعة ، و المعرفة المفيدة ، فيجب التبصر لمثل لهذا ، و في الغالب أن إهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات أو من المتعلمات تعليما ناقصا "

كما تحدث الشيخ عن تعلم المرأة و ضرورته لأنه أساس التربية . ومن أهم رسائله في علم الكلام " القواعد الكلامية " طبع بالجزائر سنة 1911 م ، به مقدمة و عشرة فصول و خاتمة جعلها على حد قوله نموذجا كفيلا " باستفادة القارئ السبيل الذي تتلقى به أصول الدين على الوجه الملائم لروح الوقت ، و المساعد لمملكات تلامذة هذا الزمن " ، (ص 3)

وهو يرجو بعمله هذا أن ينخرط في صف السلف ، و هذا يبين نزعتة السلفية و إدراكه روح عصره ، و محاولته تغيير مناهج التأليف تبعا لمقتضيات نفسيات الطلاب من جهة ، و مقتضيات التطور من جهة أخرى ، و من أهم آرائه في نشأة علم الكلام أنه علم قرآني ، لأن القرآن ذكر العقائد الأساسية مع أدلتها كالأدلة على وجود الصانع ، من خلق السماوات و الأرض و النفوس و غيرها كما أشار القرآن إلى مذاهب المبطلين ، و الطبائعيين و إلى الأجوبة عن شبه المبطلين ، و أول من ألف فيه الإمام مالك ثم توسع فيه أبو الحسن الأشعري و أبو منصور الماتوريدي .

و يرى أن العقل و الدين متفقان . ص 7 ، ص 28.

و في كلامه عن تاريخ علم الكلام ما يشير إلى أنه تأثر بآبى خلدون في مقدمته و تعرض لنظرية المعرفة ، و يرى بطلان القول بالحلول و الإتحاد اللذين يقول بهما بعض المتصوفة ، و مما يبين أن له اطلاع على كتب الفلاسفة و المتصوفة أنه يستشهد بأقوالهم ، استشهد بأقوال الفرابي ، كما استشهد بآبى تيمية . و إلى جانب أفكاره النظرية قام عمليا بتطبيق ما يراه من مناهج الإصلاح و طرق التربية ، فابتدأ التدريس بقسنطينة منذ أن حل بها سنة 1869 ، مدرسا حرا ثم عين مدرسا بجامع سيدي الكتاني بنفس المدينة سنة 1873 ، و بعد ذلك تولى التدريس بالمدرسة الكتانية سنة 1877 م ثم نقلته الحكومة الفرنسية إلى عاصمة الجزائر في 1898 فدرس في المدرسة الثعالبية التي تم بناؤها سنة 1903 و ابتدأت فيها الدراسة سنة 1905 .

و قد أعجب الناس بطريقته في التدريس و أشربوا حبه لصدق لغته و صفاء سيرته و لوقع تعاليمه في القلوب التي خاطبها و رباها و استطاع بذلك أن ينفذ إلى أرواح الطلبة و يؤثر فيهم . توفي بمدينة قسنطينة —رحمه الله— في ذي القعدة سنة 1332 هـ / 1913 م .

و لقد ترك الشيخ عبد القادر المجاوي من يواصل الرسالة الإصلاحية من بعده ممن أخذ عنه و تتلمذ عليه أمثال الشيخ حمدان لونيبي نزيل المدينة المنورة و دفينها و هو أستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح الكبير ، و الشيخ أحمد لحبيبتني ، و الشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة المالكي .

و من الموافقات السارة أنه في السنة التي توفي فيها عبد القادر المجاوي ابتدأ عبد الحميد بن باديس حركته التعليمية بقسنطينة ، فاتصلت حلقات الإصلاح متطورة إلى مرحلة القوة و النضج .

و من الدوافع التي أدت إلى الإصلاح كذلك و ساعدت عليه إلى جانب المجالات و الجرائد و الكتب التي كانت تصل إلى الجزائر زيارة الشيخ محمد عبده (توفي سنة 1905) إلى تونس و الجزائر سنة 1903 في الصيف و قد

مهد لتأثير هذه الزيارة مجلة المنار ، و من قبلها العروة الوثقى ، فكان الطلبة و الشيوخ يطالعون هذه الصحف و يتداولونها . ففي الجنوب الجزائري عرف الشيخ إبراهيم مكي بكتب ابن تيمية و كانت أعداد العروة الوثقى تصل الشيخ علي بن ناجي الزاهري ، و الشيخ علي بن العابد السنوسي الزاهري يتداولها الطلبة في عهد صدورها بباريس في منطقة بسكرة من طولقة غربا إلى الخنقة و مليانة شرقا .

و الشيخ المولود الزريبي – نسبة إلى زريبة الواد- شرق بسكرة و هو عالم أزهري كان من رواد الإصلاح في منطقة لأوراس .

و لانسى في هذا الصدد الحركة الصوفية الإصلاحية و هي حركة محمد بن علي السنوسي الكبير –من مستغانم- المستقر في ليبيا (1843) التي اعتقد صاحبها أن الدعوة الأخلاقية و التجديد الروحي هما الأساس للتحرر من السلطة الأجنبية ، فلقد تركت هذه الدعوة في المغرب الإسلامي أثرا بعيدا ، و هي حركة متصلة بحركة محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب رغم أن مؤسسها صوفي لكنه ليس كالصوفية الآخرين الذين وجدوا في عصره. و من الشيوخ الذين مهدوا لحركة الإصلاح في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين الأستاذ عبد الحليم بن سمايه (1866-1933) بالجزائر العاصمة حفظ القرآن الكريم و مختلف المتون معتمدا على نفسه و بمساعدة والده و تتلمذ على شيوخ كبار أمثال الشيخ بن عيسى الجزائري و المكي بن عزوز و أبي القاسم الحفناوي و السعيد بن زكري و علم في المدرسة الكائنة بشارع السفراء بباب الواد في سنة 1896 مع الشيخ عبد القادر المجاوي و هي مدرسة خاصة بتعليم العربية . كما أنه علم جيلا من الطلاب في المدرسة الثعالبية حفظوا العربية في عاصمة الجزائر فترة من الزمن و تمسكوا بعقائد الإسلام ، و كان متصلا بالحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي مراقبا للأحداث في الصحف العربية و الفرنسية ، كان يعتمد الكتب الأصيلة في الدين و العربية في تدريسه يقرئ رسالة التوحيد لمحمد عبده ، و هو أول من درس كتابي أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني و هذان الكتابان اهتم بهما محمد عبده لأنهما يمثلان الدراسات النقدية التي من شأنها تربية الملكات ، و تكوين الأذواق لطلاب الفصحى في الأزهر و غيره .

وقبل وفاته سنة 1933 مرض عبد الحليم مرضا عقليا لشدة ويلات الاستعمار و اضطهاده إياه . و الواقع أنه ألف بعض الكتب منها كتاب فلسفة الإسلام و قد قرأ الفصل الأول منه في مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر المنعقد في الجزائر سنة 1905 . و له عدة مقالات كتبها في الصحافة العربية خصوصا جريدة كوكب إفريقيا للشيخ محمود كحول (ت 1936)

-محمد بن مصطفى بن الخوجة ولد بالجزائر العاصمة و هو من أكثر الأساتذة حرصا على مطالعة كل ما يرد من الكتب والجرائد والمجلات وخاصة كتب محمد عبده ورسائله .

أخذ عليه محمد عبده لبه واستولى مذهبه في الإصلاح على نفسه ، يطالع العروة الوثقى والمنار وغيرهما ، كما يقرأ للشيخ رشيد رضا مقالاته في المجالس ويشرحها. ولما وصله تفسير سورة العصر درسه عشر مرات وشرحه لمن يتبعون حركة الإصلاح في الجزائر من العلماء والطلبة ولأعيان فاستحسنها هؤلاء واثنوا عليها. وكتب بهذا

إلى الشيخ محمد عبده يخبره به ، ولما عزل من عمله لصلته بمحمد عبده وبمحمد فريد أخذ يلقي الدروس في جامع حي بلكور ، قال عنه عمر راسم : (الشيخ محمد بن مصطفى شاعر الجزائر في وقتها وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر كثير الاطلاع ولوع بالكتب العصرية شغوف بمحبة محمد عبده وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر وعرف الناس به وبجمال الدين الأفغاني وأصحابهما ، يعرف الشرق كأنه عاشره مئة سنة حلو الكلام ، كان إذا خطب يستدل بالآيات القرآنية والأحاديث كأن القرآن وكتب الآثار مرآة أمام عينيه).

اهتم بالحياة الاجتماعية والأخلاقية وبوضع المرأة الجزائرية المسلمة ، فكتب "الاكتراث في حقوق الإناث سنة 1895" ، وكتاب "اللباب في أحكام الزينة والاحتجاب" سنة 1907 ، وكتاب "البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام" سنة 1902 ... الخ

وهناك نوع آخر من خدمة المجتمع يعتبر من عوامل الإصلاح الثقافي ونشر الوعي بماضي الأمة وهو يتمثل في عمل أبي القاسم الحفناوي "1852-1942" مدرس ومفتي بالجزائر العاصمة ومحرر بالجريدة الحكومية الفرنسية "المبشر" ، قام بتأليف كتاب يضم تراجم العلماء الجزائريين ، ورغم أن هذا الكتاب ليست له صبغة علمية فإنه مفيد لأنه جمع مادة غزيرة يمكن للباحث أن يدرسها دراسة علمية . وأهم شخصية خدمت اللغة العربية والثقافة الإسلامية وتاريخ الحضارة الإسلامية في المغرب الأوسط "الجزائر" إنما هو العلامة الدكتور محمد بن أبي شنب "1868-1929" المولود بالمدينة ، وعمله يتسم بطابع علمي مما جعله ينتخب للتدريس بكلية الآداب بجامعة الجزائر بعد تخرجه منها ، كما كان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، ويمتاز بمعرفته لعدة لغات أجنبية حية وميتة من اللاتينية والألمانية وفرنسية وإيطالية وإسبانية وتركية ، ومن الكتب التاريخية التي حققها ونشرها كتاب "الدراية في من عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية" لأبي العباس أحمد الغبريني "ت 714 هـ"

وكتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان للأبي عب الله محمد بن احمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني "توفي في القرن الحادي عشر الهجري" وكتاب طبقات علماء إفريقيا لأبي العرب التميمي "ت 945م" بالقيروان ، وكتاب طبقات علماء تونس لمحمد الخشني "ت 981م" .

درس محمد بن أبي شنب بقسنطينة والجزائر ، وقد كتب في مجلة الشهاب لابن باديس بحثا ولما توفي قال فيه بن باديس : "لما عرفناه فقدناه" .

ومن الذين شاركوا في هذه الحركة التاريخية الشيخ محمد مبارك الملي الذي ألف كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث سنة 1929 وقرظه الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ أحمد توفيق المدني الذي ألف كتاب الجزائر سنة 1931 .

ثانيا- الحياة الدينية والاجتماعية في نهاية القرن التاسع عشر:

كانت الحياة الدينية والاجتماعية بالجزائر في تدهور وخمول مما دعا إلى رد فعل عند بعض أعيان النخبة الجزائرية في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين. فهذا إسماعيل حامت وهو مؤرخ جزائري يصور بأسى ما آل إليه حال الجزائريين وما ينبغي إصلاحه من أوضاعهم العقديّة والثقافية ، فيقول: " كان للإلحاد الغربي مبلغ كبير من التأثير في جمهور ليس بالقليل من مسلمي الجزائر الذين كانوا ما برحوا مسلمين في الظاهر فهم يجهلون حد ما وصلت إليه روحهم الدينية في التلاشي .إن هؤلاء لا ينكرون الإسلام دينهم ومعتقدهم غير أنهم قد أضحوا من فتور الغيرة الدينية في نفوسهم بحيث غدوا لا يبالون البتة بنشره في الناس والدعوة إليه في غير المسلمين فالإسلام عندهم إنما هو مقصور على من يأتي بعدهم من الأولا والأحفاد فحسب وليس يتناول أحدا سواهم من الخلق أجمعين. فالحق أن الإسلام لبراء مما هم فاعلون . وليس ذلك هو الحرية الفكرية على ما يزعمون بل إنما هو الفتور والتلاشي. " حاضر العالم الإسلامي لثروب ستودارد ، ج1 ص 45".

والواقع أن هذا لم يحدث بالصدفة للجزائريين تحت الاحتلال وإنما هو سياسية استعمارية فرنسية مقصودة تهدف عن طريق التربية والتعليم إلى فصلهم عن مقومات الشخصية الإسلامية العربية ، وإلى تحويل الشعب الجزائري كله وإدماجه في الحضارة الأوروبية والثقافة الفرنسية ، عن طريق نشر اللغة الفرنسية ومقاومة الشريعة الإسلامية التي ترى أنها هي العقبة الوحيدة التي تحول دون الاندماج ولذلك تشترط فيمن يتمتع بالحقوق الفرنسية أن يتجنس . ويتضمن التجنيس عدم الارتباط بالقانون الإسلامي بل أكثر من ذلك فإن كثيرا من الحقوق لا ينالها إلا النصراني ، فأصبح التنصر بذلك طريقا إلى التمتع ببعض الحقوق. ورسمت السياسة الفرنسية وسيلة أخرى تعتقد أنها ستريح بها اللعبة وهي بث الخلاف بين عناصر المجتمع الجزائري ، بن البربر والعرب . وحاولوا أن يقنعوا البربر بأنهم سلالة أوروبية وأن لهم لغة خاصة لا ينبغي التفريط فيها ، وأن يمنعوا تعليم العربية للبربر. وفي هذا يقول مختص فرنسي وهو فيكتور بيكي "إن العالم المختص في أمور البربر السيد "دوتي" الذي جال بين القبائل نوه بمحاسن الشعب البربري وقال :إن به مناط الأمل في إفريقيا...إنه شعب يظهر عليه الميل من نفسه إلى المدنية الفرنسية ، لذلك يجب علينا قبل كل شيء أن لا نعربه أكثر مما هو ولأجل بلوغ هذه الغاية يجب أن يحمل البربر على الثقافة الفرنسية أو أن يتكلموا بالفرنساوي ، قبل وصول الثقافة العربية واللسان العربي إليهم...

ثالثا - الاتجاهات الإصلاحية في الربع الأول من القرن العشرين:

طبقا لتطور أوضاع الجزائريين الثقافية والاجتماعية والسياسية وبتأثير من السياسة الاستعمارية الفرنسية ظهرت جماعة صغيرة لائكية "علمانية" مفرنسة بصحافتها وجمعياتها وصدقاتها ومطالبها التي تعتبرها تقدمية واعتمد هؤلاء الشبان الجزائريين على بعض الأحرار من الفرنسيين أمثال "بول بورد" و "آلبان روزي" وكانت هذه الفئة لا تطالب بمجرد المساواة مع الفرنسيين بل وبالاندماج التام ثم انقسمت هذه الفئة إلى قسمين :

قسم يطالب بالمواطنة الفرنسية دون الارتباط بالقوانين الشخصية الإسلامية

وقسم يطالب بالمساواة السياسية مع بقاء التعامل بالقانون الإسلامي ، ويمثل هذا القسم حفيد الأمير عبد القادر الأمير خالد بن الهاشمي " توفي سنة 1936 بدمشق " . الذي عرض برنامجه في جريدة الإقدام ، و بصفة عامة فإن هذه النزعة تهدف إلى فصل الدين عن الدولة تقليدا للكمايين في تركيا التي كان لثورتهم صدى في الجزائر سنة 1924 م. ويمثل هذه الفئة أو الحركة في المدارس الابتدائية وطلبة في المدارس الفرنسية وموظفون لدى الحكومة الفرنسية ومن النواب وغيرهم ممن يجيدون اللغة الفرنسية ويستعملونها لصحافتهم ومن أشهر الصحف التي تعبر عن أفكارهم :

1- الصوت الأهلي lavoix Indigène ، و يديرها ربيع الزناتي .

2- و صوت المتواضعين LAVOIX des humbles ، و يديرها عمر قندوز

وقد عبر المستشرق الفرنسي " لوي ماسينيون " عن غبطته بهذه الفئة و أمثالها من الجزائريين قائلاً أن اللغة الفرنسية أصبحت في الجزائر أداة للفكر الإسلامي لا في السياسة فحسب و لكن في الناحية الدينية كذلك . ويضرب لنا مثلاً بما قام به الأستاذ أحمد ليميش من ترجمة القرآن الكريم إلى الفرنسية ترجمة يحوطها التقديس و الشعور الإسلامي الصادق رغم أنها لم تبلغ الجودة . كأنه يعد هذا انتصار الحضارة الأوروبية. و من الاندماجين فرحات عباس الذي كتب يقول: "الجزائر أرض فرنسية ، نحن فرنسيون مع الاحتفاظ بقوانين الأحوال الشخصية الإسلامي ... لا يوجد في الكتاب المقدس - القرآن - ما يمنع من أن تكون جنسيته فرنسية ... بل إنه عبر عن الوحدة الوجودية بينه و بين فرنسا فقال : أنا فرنسا "

كما كان هناك من أتباع الطرق الصوفية في الجزائر من يسير في ركاب الولاء لفرنسا ، و تعود إلى ثلاثة طوائف :

الطائفة العليوية التي يرأسها الشيخ أحمد بن عليوة في مستغانم .

وهي طائفة متشعبة عن الطريقة الدرقاوية و لهذه الحركة الصوفية صحيفة تعبر عن أفكارها المعارضة للحركة الإصلاحية التي يمثلها الشيخ عبد الحميد بن باديس وهي جريدة البلاغ .

طائفة درقاوية أخرى يرأسها غلام الله في مدينة تيارت يدعو صاحبها إلى سياسة الاتفاق الديني بين الإسلام وفرنسا .

ج — طائفة التيجانية تتكون من كبار الموظفين و الأغنياء و التجار ، وقامت بنشاط بلغ فرنسا و أقامت هناك مسجدا.

د- و أما الطريقة السنوسية فقد أضعفتها المجازر التي سلطتها عليها إيطاليا في ليبيا و كادت أن تودي بها .

هـ- و الحقيقة أن الحركة الأساسية التي تمثل آمال الشعب الجزائري و تعبر عن شخصيته هي الحركة الإصلاحية التي يمثلها ابن باديس و زملاؤه و يصفها المستشرق الفرنسي (لوي ماسينيون) بأنها حركة متشددة نصف وهايية و يعتبرها فرعا أو شعبة من الحركة التي تمثلها (المنار) في القاهرة و يذكر أن ابن باديس وثيق الصلة بالحركة في مصر مترسم لخطاها و يعترف بأن لهذه الحركة السلفية تأثيرا لما ينطوي عليه برنامجها من الرجوع إلى تعاليم القرآن بالرغم من أنه يقلل من شأنها من ناحية أخرى : " إن هذا الحزب لا ينتمي إليه حتى الآن إلا شذمة قليلة في مدن المغرب " ... و لسان حال هذا الحزب أو هذه الحركة (مجلة الشهاب) الصادرة بقسنطينة .

4 : دور الصحافة العربية في النهضة و الإصلاح :

لقد لعبت الصحافة دورا تمهيديا في الإصلاح في الجزائر منذ بداية القرن العشرين ، إن أول جريدة عربية مستقلة عن السلطة الفرنسية في الجزائر هي (جريدة الجزائر) وهي جريدة حرة أصدرها الفنان الأستاذ عمر راسم سنة 1908 .

و صدرت جريدة الحق سنة 1911 في وهران و هي أول جريدة فتحت لاكتتاب للهِلال الأحمر العثماني أيام حرب طرابلس ليبيا ثم جريدة الفاروق صدرت سنة 1913 بالجزائر لصاحبها معلم القرآن عمر بن قدور ، و يعتبر هذا الرجل من المدرسة الإصلاحية المتأثرة بمحمد عبده و مجلة المنار فعزم على مقاومة الخرافات و البدع .

ثم عاد الفنان عمر راسم و أصدر جريدة أخرى بعنوان ذو الفقار تحت اسم مستعار ابن المنصور الصنهاجي و الغريب أن مؤسس الجريدة هو الذي يحررها و يكتبها بخطه ، و يرسم صورها بيده و يطبعها طبعا حجريا وحده ، فمن صورها الرمزية في عددها الثالث فارس عربي على باب مدينة الجزائر و شمس مرسله أشعتها مكتوب في قرصها (الإصلاح) و هذا يرمز إلى العودة للدين و الشخصية العربية كما نشر في هذا العدد قصيدة حماسية لعنترة بن شداد و مقال بعنوان (الإسلام و المسلمين) و مفاده أن سبب تأخر المسلمين يعود إلى انفصالهم عن الشريعة الإسلامية و مقال آخر نقله عن مجلة المنار المصرية يعالج مشكلة

المقلدين للإفرنجي و فسادهم الأخلاقي ، و رسم صورة ترمز إلى رجل مقلد للغرب يطلب من زوجه أن تخلع لباسها العربي لتتعلم الرقص و لتتمدن فأجابته بأن لباسها القومي لا يكون عائقا لها عن التمدن . و في سنة 1919 أصدر حفيد الأمير عبد القادر الأمير خالد صفيحة الإقدام باللغة العربية و الفرنسية . و في السنة نفسها أصدر الشيخ عبد الحميد الهاشمي جريدة النجاح التي كانت حرة و أشترك عبد الحميد بن باديس في تأسيسها ثم انفصل عنها ، ثم انحرفت هذه الجريدة و ارتبطت بالحكومة الفرنسية و أصبحت في 1930 جريدة يومية يطبع منها 5000 نسخة في اليوم .

و في سنة 1924 أصدر عمر بن قدور الجزائري جريدة " الفاروق " من جديد و كانت أسبوعية ثم اشترك مع محمد بن بكير في إصدار جريدة " الصديق " ، و صدرت الجريدة أسبوعية سنة 1923 بعنوان " لسان الدين " و هي جريدة دينية لصاحبها مصطفى حافظ و ابن عبد العزيز حسن .

و في سنة 1925 أصدر عبد الحميد بن باديس جريدة " المنتقد " توقفت بعد صدور 18 عددا ، ثم خلفه " الشهاب " في نفس السنة و كان أسبوعيا ثم انتقل سنة 1929 إلى مجلة شهرية ، و استمرت الشهاب في أداء رسالتها إلى الحرب العالمية الثانية فتوقفت في سبتمبر 1939 ، و هناك صحف أخرى صدرت في نفس المرحلة ساهمت في الإصلاح في الجزائر في الجزائر .

و هذه الصحافة كلها تدل على النشاط الفكري ، و على ظاهرة القلق التي هي علامة اليقظة و الوعي و المسؤولية ، و خطوة في سبيل تغيير المظاهر الاجتماعية ، و محاولة لإعادة المجتمع إلى أداء وظيفته التاريخية و إدراكه نفسه التي نسيت التاريخ أو نسيها التاريخ .

المحور الثاني / الأعلام والمرجعية

1 الأعلام

1 / الشيخ عبد الحميد بن باديس:

ولد عبد الحميد بن باديس بن محمد المصطفى بن مكي في ديسمبر 1889 فكان الولد الأكبر لأبويه ، وأسرتهم أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والثراء والجاه ، وكانت منذ القدم ذات نفوذ ومسيرة للسياسة والحكم في المغرب الإسلامي ، ونبغ من هذه الأسرة شخصيات تاريخية لامعة منها بلكين بن زيري والمعز بن باديس ، الذي كان يفتخر به الشيخ عبد الحميد بن باديس ولا عجب في ذلك فهو بمثابة خليفة له في مقاومة البدع والضلال إذ كان جده يناضل الإسماعيلية الباطنية وبدع الشيعة في إفريقيا ، ومن أسلافه المتأخرين قاضي قسنطينة الشهير أبو العباس احميدة ابن باديس ومكي

بن باديس القاضي بها أيضا .

و أمه من أسرة مشهورة في قسنطينة كذلك هي أسرة "عبد الجليل" تدعى "زهيرة بن جلول بنت علي بن جلول" و أبوه عضو في المجلس الجزائري الأعلى و المجلس العام ، كما هو عضو مجلس العمالة (الولاية) و عرف دائما بدفاعه عن مطالب السكان المسلمين بعمالة قسنطينة و أسرته كانت تنتمي إلى الطريقة القادرية .

حفظ بن باديس القرآن على الشيخ محمد المدهاسي ، و أتم حفظه في السنة الثالثة عشرة من عمره ، ومن شدة إعجاب المؤدب بذكائه و سيرته الطيبة قدمه ليصلي بالناس صلاة التراويح ثلاث سنوات متتابة في الجامع الكبير ، وفي سنة 1903 دخل الشاب في طور جديد من أطوار دراسته فخيرته والده بين أن يسلك طريق أجداده أو طريقا آخر فاختر طريق سلفه ، و هو طريق العلم و الجهاد ، فانتخب له أبوه أحد الشيوخ الصالحين من ذوي المعارف الإسلامية و العربية و هو الشيخ حمدان لونيبي الذي كان منتميا إلى الطريقة التيجانية سالكا منهجها فأخذ يعلمه بجامع سيدي محمد النجار مبادئ العربية و المعارف الإسلامية و يوجهه وجهة علمية أخلاقية.

و كان ابن باديس يعترف له بالفضل ، و بما كان له من تأثير في نفسه ، ثم هاجر حمدان لونيبي إلى المدينة المنورة متبرما من الاستعمار الفرنسي و سلطته ، مجاورا بها مدرسا للحديث إلى أن توفاه الله .

و حين عزم على الهجرة تعلق لدى السلطات الاستعمارية بأنه يسافر لمعالجة بصره ، و رغب ابن باديس أن يسافر معه و لكن أباه منعه و صرفه عن ذلك ، و حين بلغ الخامسة عشرة من عمره سنة 1904 زوجته والده و أنجب ولدا أسماه عبده إسماعيل توفي و عمره سبعة عشر سنة و هذا الاسم له دلالة حيث زار محمد عبده قسنطينة سنة 1903 و في الجامع الكبير الذي كان به ابن باديس ألقى محمد عبده دروسا. ثم جاء دور الرحلة في حياة ابن باديس الشاب فسافر إلى تونس في سنة 1908 و عمره إذ ذاك تسعة عشر عاما ، و انتسب إلى جامع الزيتونة و عرف في دراسته بالجد و النشاط فأخذ يتلقى الثقافة الإسلامية العربية عن جماعة من أكابر العلماء في الزيتونة مثل العلامة المفكر "الصدر محمد النخلي القيرواني

المتوفى في 1924 ، و الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي كان له تأثير كبير في تكوين عبد الحميد بن باديس في اللغة و في الشغف بالأدب العربي و الاعتزاز به ، و من أساتذته الخضر ابن الحسين الطولقي البسكري و شيخ الجامع الأزهر درس عليه بجامع الزيتونة قبل أن ينتقل إلى مصر و حضر عليه عبد الحميد في المنطق دروسا من كتاب التهذيب بجامع الزيتونة. كما أخذ عنه دروسا في التفسير . و من أساتذته أبو محمد ابن الحسن محمد النجار ، و محمد الصادق النيفر ، و سعد العياض السطايفي المصلح المجدد ، و محمد ابن القاضي ، و البشير صفر المؤرخ المجدد و غيرهم كثير ، و تخرج بشهادة التطويح في العام الدراسي 1912/1911 و عمره 23 سنة ، و علم بعد تخرجه سنة كاملة في جامع الزيتونة على عادة المتخرجين في ذلك الوقت . و لا شك فان البيئة الثقافية و الاجتماعية التي احتك بها و العلاقات التي كانت له مع بعض العلماء أثرت في تكوينه و شخصيته ، و اتجاهه العقلي ، و أكثر ما كان اتصاله قويا عميقا و مؤثرا إنما كان بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، و الشيخ محمد النخلي ، اللذين يعتبران زعميي النهضة الفكرية و العلمية و الإصلاحية في الحاضرة التونسية بأنهما كانا من أنصار أفكار جمال الدين الأفغاني و محمد عبده الإصلاحية ، و يذكر لنا الشيخ ابن باديس أن الشيوخ الجامدين كانوا ينفرونه من الاتصال بهما و بقي بعيدا عنهما تحت تأثير التقليد إلى أن أتاحت له فرصة الاتصال بمحمد الطاهر بن عاشور أولا ثم مهد له فتعرف على الشيخ محمد النخلي وتأثر به ، و ذلك في الفترة الأخيرة من دراسته العليا.

1 . عوامل تكوينه الشخصية :

مما سبق تتضح معالم تكوين شخصية بن بايس الأخلاقية و العلمية وقد لخص هذه العوامل في خطبة ختمه تفسير القرآن الكريم في جويلية 1938 بقوله باختصار- العامل الأول في تكوينه من الناحية العملية و العلمية و توجيهه ذلك التوجيه يعود إلى أسرته ، و خصوصا أباه الذي رباه و وجهه وجهة أخلاقية و علمية و حماه من المكاره صغيرا و كبيرا على حد تعبيره ، و كان أبوه من ذوي الفضل و الخلق الإسلامي و من حملة القرآن الكريم ، و لا يخفى ما لتأثير الأسرة في شخصية الطفل من أهمية بالغة.

و العامل الثاني يرجع إلى بيئة الدراسة و تأثير المربين من المعلمين و الشيوخ الذين نموا استعداداه و تعهدوه بالتوجيه و التكوين ، و ابن باديس يطيب له أن يذكر لنا فضل أساتذته عليه ، في تخطيط مناهج العمل في

الحياة ، قال: "وأذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البالغ في تربيتي وفي حياتي (العملية... حمدان الونيسي القسنطيني نزيل المدينة المنورة ودفينها ، وثانيهما الشيخ محمد النخلي المدرس بجامع الزيتونة المعمور رحمهما الله ". وله مع كل من هذين المرييين وقعة هي التي جعلته يتجه اتجاها معيناً سواء من الناحية العملية أو العلمية وهذا حديثه عن الواقعتين قال: "وإني لأذكر للأول حمدان لونييسي وصية أوصاني بها ، وعهداً عهد به إلي. وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله ، فأجدني مديناً لهذا الرجل بمئة لا يقوم بها الشكر ، فقد أوصاني وشدد علي أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حبيت ، ولا أتخذ علمي مطية لها ، كما كان يفعل أمثالي في ذلك الوقت ، وأذكر للثاني محمد النخلي كلمة لا يقل أثرها في ناحية العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العملية ، وذلك أني كنت متبرماً بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله ، ضيق الصدر من اختلافاتهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن ، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله . فذاكرت يوماً الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم القلق فقال لي : "اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة ، وهذه الأقوال المختلفة ، وهذه الآراء المضطربة ، ليسقط الساقط ويبقى الصحيح ، وتستريح . ف والله لقد فتح بهذه الكلمة القليلة عن ذهني أفقا واسعة لا عهد له بها".

فهذا النص في غاية الأهمية من حيث دلالاته على مدى تأثره في تكوينه بهذين الأستاذين ، ومن الأساتذة الذين أثروا فيه وكونوا جانباً من أهم جوانبه وهو جانب الأدب تذوق الآثار الفنية ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور زميل الأستاذ النخلي...

يقول بن باديس: " وإن أنس فلا أنسى دروساً قرأتها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور وكانت أول ما قرأت عليه فقد حببني في الأدب والتفقه في كلام العرب وبثت في روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور ، وأحيت مني الشعور بعز العروبة والاعتزاز بها كما أعتز بالإسلام".

ولم ينس الشيخ عبد الحميد رحمه الله أن يبين لنا عامل آخر من أهم العوامل وهو الشعب الجزائري وما ينطوي عليه من أصول الكمال ، واستعدادات عظيمة للخير ، وهو ما عمل على تنميته والنضال من أجل تغليب عليه جوانب النقص و عوامل السكون ... ويصف الأمة الجزائرية بأنها أمة معوانة على الخير منطوية على استعدادات الكمال وإنها ذات نسب عريق في المحامد والفضائل . ثم يبين عاملاً آخر وهم زملاؤه من العلماء الأفاضل الذين ساعدوه منذ فجر النهضة وشدوا ساعده وسطع نجمه أمثال الشهيد الشيخ العربي التبسي ، والشيخ البشير الإبراهيمي ، والشيخ العقبي في أول أمره ، والشيخ مبارك الميلي وغيرهم.

والعامل الأخير الذي يفوق جميع العوامل الأخرى والذي كرس له ربع قرن من حياته ، هو القرآن الكريم الذي صاغ نفسه ، وهز كيانه ، واستولى على قلبه فاستوحاه في منهجه طوال حياته وترسم خطاه في دعوته ، وناجاه ليله ونهاره يستلهمه ويسترشده ، ويتأمله فيعب منه ويستمد علاج القلوب ، وأدواء النفوس ، ويذيب نفسه ، ويبيد جسمه الهزيل في سبيل إرجاع الأمة الجزائرية إلى الحقيقة القرآنية ونبع الهداية الأخلاقية

والنهوض الحضاري. وكان همه أن يكون رجال قرآنيين يوجهون التاريخ ويغيرون الأمة ، ولذلك فإنه جعل القرآن قاعدة أساسية تركز عليها تربيته وتعليمه للجيل قال: "فإننا ، والحمد لله ، نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم..."

ولما رجع الشيخ من تونس عاد شعلة من الحماسة فقصد الجامع الكبير وأخذ في إلقاء الدروس وابتدأ بتدريس كتاب الشفاء للقاضي عياض ، ولكن المكائد حيكته له ، فعمل أعداؤه على إقلاقه ومنعه وأطفئ عليه الضوء وهو في درس فقرر السفر إلى الحج إلى بيت الله الحرام ولللقاء شيخه حمدان لونيبي وعند رجوعه من الحجاز سلم له حمدان لونيبي رسالة إلى الشيخ الأزهرى المصرى الشيخ بخيت زميل الشيخ محمد عبده والمدافع عنه ، فاتصل به في منزله بحلوان ، ولما بين له أنه مرسل من طرف أستاذه قال له معظما إياه ... " ذاك رجل عظيم " وحينما توفي عرف به ابن باديس في مجلة الشهاب وكان قد أجازه ، ومر كذلك على الشام " دمشق ولبنان ، وهكذا فإن ابن باديس أتم دراسته بالرحلة في البلاد الإسلامية ومحادثة العلماء وهو ما يعتبر من شروط العالم المتمكن من التقاليد العلمية والمناهج التربوية الإسلامية ، وبالطبع فإن هذه الرحلة أطلعت على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية ، وفيها خبر أحوال الناس مما وسع أفقه وبصره بطريق الخلاص ، والثورة الفكرية التي تعتمد على التربية في تكوين القادة من النخبة أو الصفوة المبدعة.

ولما نزل قسنطينة سنة 1913 شرع في العمل التربوي وأخذ يعلم صغار الصبيان الذين يقرأون القرآن في الكتاتيب وحوالي سنة 1922 تبلورت في الأوساط الإصلاحية فكرتان تختلفان في المنهج وتتفقان في الهدف . - الفكرة الأولى ترى أن السبيل هو توجيه الطاقات والجهود نحو ناحية التربية والتعليم وتكوين نخبة من الدعاة مدربة على مناهج الدعوة مسلحة بالعلم والمعرفة ، مطلعة على أصول الدين وعقائده ، وكان من أصحاب هذه الفكرة في ذلك الوقت الشيخ محمد البشير الإبراهيمي . وكان الرأي الثاني يقوم على أساس ثوري يزلزل سلطان البدع المستحكمة ويهدم العادات المتمكنة ، وهذا الرأي يمثله الشيخ عبد الحميد بن باديس ونخبة من الشبان وهكذا رجح الرأي الثاني ودخل في مرحلة التطبيق العملي ، فأسس عبد الحميد جريدة "المنتقد" التي يبين اسمها عن معنى النقد الذي كانت تخشاه أرباب الطريقة وتقاومه في مناهج تربيتها للمريدين وللجمهور بتلك العبارة المعروفة "أعتقد ولا تنتقد" .

(بسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون والمبدأ الذي نحن عليه عاملون) "المنتقد العدد الأول ص1"

ثم تأتي ثلاثة عناوين أخرى :

- 1- مبدأنا السياسي
- 2- مبدأنا التهذيبي
- 3- مبدأنا الإنتقادي

ومما جاء في مبدأ النقد أنه لا يتعرض للأشخاص فيما يختص بأحوالهم الشخصية وإنما يتوجه إلى سلوكهم الذي يمس شؤون الأمة وعدد من يتعرض للنقد ، وبين أصنافه من الطبقات الاجتماعية فقال: " فننقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء والمقاديم وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير من الفرنسيين والوطنيين وناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين ، وننصر الضعيف و المظلوم بنشر شكواه والتنديد بظالمه كائنا من كان ، لأننا ننظر من الناس إلى أعمالهم لا إلى أقدارهم ، فإذا قمنا بالواجب فلأشخاصهم منا كل الاحترام " (جريدة المنتقد العدد الأول الصفحة 1).

وشعار جريدة المنتقد شعار جريء خصوصا في تلك الفترة العسيرة التي أبغض ما كان فيها للاستعمار الفرنسي (كلمة الحق) (وكلمة الوطن) وهما الكلمتان الأساسيتان في الشعار " الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شيء ". والحقيقة أن صدور مثل هذه الصحيفة في مثل تلك اللهجة الصريحة الصادقة العفيفة لتعتبر مغامرة في ذلك العهد القاسي المظلم .

صادرت السلطة الفرنسية المنتقد وأوقفته بعد العدد الثامن عشر ولم تتوقف الحركة باستشهاد المنتقد بل استمرت بإصدار الشيخ جريدة "الشهاب" التي تعتبر خلفا له وجاء في العدد الواحد والثلاثين مقال للشيخ العربي التبسي عنوانه " أزفت ساعة الجماعة وتصرم عصر الفرد "

وذكر فيه أن آخر الأعداد للسنة الأولى منه وأنه المنتقد صنوان أنشأ على مبدأ واحد ، ولغة واحدة ، قضت طوارق الزمن على أحدهما فخلفه الآخر . وبصفة عامة فإن الشهاب ومن قبله المنتقد يمثلان لسان الشباب الناهض للوطن الجزائري واستمر الشهاب في صورة جريدة من أواخر 1925 إلى فيفري 1929 وفي هذه السنة تحول إلى مجلة شهرية علمية تبحث كل ما من شأنه أن "يرقى بالمسلم الجزائري" ومبدأها في الإصلاح الديني والديني هو: " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها "

"الحق والعدل والمؤاخاة في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات " وكتب هذا على غلاف المجلة. ورد في أول مقال له "تستطيع الظروف تكييفنا ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا "

ونلاحظ أن هناك مبدأ من هذه المبادئ طرأ عليه تغيير وتطور بسبب المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936 ، واليأس من وعود فرنسا وهو: "الحق والعدل والإخاء في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات " فأصبح مكانه شعار آخر يؤمن بأن الحقوق لا تعطى وإنما تؤخذ غالبا: "لنعول على أنفسنا ولننتكل على الله " هذا ما صرح به ابن باديس بعد الرجوع من فرنسا 1937 وصمدت المجلة تؤدي رسالتها في الغالب بتفسير آيات من القرآن الكريم وبشرح بعض من الأحاديث إلى آخر عدد منها الصادر في سبتمبر 1939 . وخلال هذه المدة التي كانت تصدر فيا الشهاب كانت جمعية العلماء المسلمين التي تأسست في 5 ماي 1931 برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس تقوم بنشاط صحفي يتمثل في جرائد أسبوعية ، فتأسست صحيفة السنة

سنة 1933 ثم منعت صدورها السلطة الاستعمارية فخلفتها جريدة الشريعة في جويلية 1933 ثم صودرت في سنة 1933 ثم خلفتها صحيفة الصراط سنة 1933 فلحقها ما لحق أخواتها فلقبت حتفها وصدر آخر عدد منها في جانفي 1934 .

وبعد هذا أسست جمعية العلماء جريدة أخرى تسمى البصائر وصدر أول عدد منها في ديسمبر 1935 ثم انقطعت سلسلتها الأولى باقتراب الحرب العالمية الثانية ، وظهرت سلسلة ثانية منها سنة 1947 بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى أن توقفت أثناء ثورة التحرير الكبرى أول نوفمبر 1954 وذلك في 6 أبريل 1956 ، ومن هنا تتبين لنا حقيقة من الضروري أن نصرح بها وهي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس يجمع بين النهضة الثقافية والاجتماعية وبين النهضة السياسية ، بين التربية الإسلامية وبين الصحافة ، ومما يؤكد لنا هذه الحقيقة أنه صرح في تونس في ذكرى "البشير صفر سنة 1937 : "لابد من الجمع بين السياسة والعلم ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بحق " .

فاتخذ النشاط الصحفي وسيلة للسياسة والتهديب ، كما اتخذ المؤسسات التربوية للتعليم والتربية ، وتكوين القادة ، وبث الوعي ، والواقع أننا لا نستطيع أن نفصل بين نشاطه العلمي الإصلاحي والعمل السياسي فهما متداخلان متكاملان في نظره وعمله .

1- معالم شخصية ابن باديس:

نقصد بمعالم شخصية ابن باديس جوانبها المتنوعة الغنية في الفكر والعمل الإصلاحي الشامل شمول أزمة المجتمعات الإسلامية في عصره ، و قد تجلت تلك المعالم في شمول نظرة الشيخ و جراته في التعبير عن جميع المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والدينية والعلمية ، و السياسية التي يتخبط فيها العالم الإسلامي . فعبد الحميد ابن باديس مفسر للقرآن تفسيراً سلفياً يراعي فيه مقتضيات العصر معتمداً على بيان القرآن للقرآن و بيان السنة له ، و على أصول البيان العربي له و سننه ، و النفاذ إلى لغة العرب و آدابها ، و قوانين النفس البشرية و سنن المجتمع الإنساني ، و تطور التاريخ و الأمم ، و هو محدث من الطراز العالي لا يستشهد إلا بالأحاديث الصحيحة المسندة إلى الصحاح الست ، إلى البخاري أو مسلم أو الموطأ الذي اهتم به و اعتبر منهجه في الاستدلال خير المناهج فدرسه و ختمه كما ختم تفسير القرآن في ربيع قرن . و الظاهرة الواضحة في الحياة العلمية التي نهض بها هي :

- الناحية النقدية المنهجية التي ترد الفروع إلى الأصول و الأصول إلى مستنداتها ، فأذهب ذلك الجو القائم المستسلم الذي يسمع فيه الطالب و يسلم معتقداً أن (سَلِّمْ تَسْلِم) ، مبدأ لا ينبغي تحديه و لا تجاوزه وهو ما كان سائداً قبل حركته . و ابن باديس كاتب ذو سلاسة و عذوبة و سهولة ، و أسلوبه سهل ممتنع لا يستعمل السجع ، و لا يتكلفه ، كيف لا وهو الدارس لكتاب الأمالي و ديوان الحماسة ، و ديوان المتنبي و مقدمة ابن

خلدون ، و العواصم من القواصم و دلائل الإعجاز ، و أسرار البلاغة و من قبل ذلك كله ، معجزة الأدب العربي ، و آية روعته و جمال حديث صاحب جوامع الكلم ، و أفصح من نطق من بني يعرب عليه الصلاة و السلام .

و هو شاعر يفيض الشعر من قلبه ، و خطيب لا يتلثم و لا يتردد ، يستولي على النفوس و يملك العقول . وهو فقيه مطلع على مدارك المذاهب و خاصة مذهب الإمام مالك ، جامع بين الأصول و الفروع و بين المآخذ الكلية و جزئياتها ، يفتي و يربط الحوادث بأحكامها و هو مصلح ديني و اجتماعي يحارب التقليد و البدع و يدعو للنهضة و الحضارة ، و يفرس الحب و أصول الأخلاق التي هي جوهر المدنية . يقول : (أنا زارع محبة و لكن على أساس من العدل و الإنصاف و الاحترام مع كل أحد من أي جنس كان ، و من أي دين كان ، فاعمل للأخوة و لكن مع كل من يعمل للأخوة ، فبذلك تكون الأخوة صادقة) . (حفل اختتام تفسير القرآن 1930 م) وهو صحفي قدير يقضي ليله في إعداد المقالات و قراءة الجرائد و المجلات العربية الآتية من جميع البلاد العربية الإسلامية و الأجنبية المكتوبة باللغة الفرنسية و يعلق عليها و يرد و خاصة جريدة *la dépêche de Constantine* و يكتب و يناقش في أصول السياسة الإسلامية . وهو مؤرخ يحلل الحضارة ، و ينقد مقدمة ابن خلدون ، و يدرس آيات القرآن الكريم و ما تنطوي عليه من الدعوة إلى النظر في تجارب الأمم و تطورات الأحداث ، و ما تخضع له من سنن و قوانين لا تبديل لها و لا تحويل ، و هو صوفي زاهد لا كمتصوفة أهل زمانه و زهادهم ، متأثر بالغزالي و يسمى كتابه " إحياء علوم الدين " بكتاب الفقه النفسي . و يظهر تأثير أبي بكر ابن العربي — الأندلسي - في كتابه " العقائد الإسلامية " الذي لم يسلك فيه مسالك الفلاسفة و لا منهج المتكلمين ، و إنما نهج طريق القرآن في الاستدلال ، و أساليبه في الرد و الحجاج ، ذلك المنهج الذي يتلاءم مع الفطرة الإنسانية فتستجيب له و تطمئن إليه و تميل نحوه و تركز .

يعتقد أن المدارك الإنسانية التي تمتاز بقوة التحليل و التركيب هي التي تجعلها تتغلب على الطبيعة و تسخرها ، و أن الظواهر الاجتماعية تخضع لمبدأ الأسباب و المسببات ، و انه لا ينبغي الوقوف عند مجرد المحسوسات ، قال : " و علمنا الله ألا ننظر إلى ظواهر الأمور دون بواطنها ، و إلى الجسمانيات الحسية دون ما وراءها من معان عقلية ، بل نعبر من الظواهر إلى البواطن و ننظر من المحسوس إلى المعقول ، و نجعل من حواسنا خادمة لعقولنا ، و نجعل عقولنا هي المتصرفة الحاكمة بالنظر و التفكير و الجمع بين المشاهدة و العقل هو المنهج العقلي التجريبي الذي الذي قامت عليه الحضارة الحديثة .

إن ابن باديس شخصية عجيبة ، مجدد للنفوس البالية و باعث للضمائر الخاملة و القلوب الهامدة ، باث للعلم ، محرك للعقول ، مرجع الثقة للناس ، زارع بذور الثورة ، مشيع فكرة الحرية ، مبين الحجة البيضاء التي ليلها كنهها ، فانكشفت به الظلمات الدكناء و الغيوم الكثيفة و الضباب العاتم عن سماء الجزائر ، و استمر يواصل النضال العلمي و الاجتماعي و السياسي يعلم و يرشد و يعظ و يحرر و يتنقل و يتعبد و يتأمل و يحقق و لا يهدأ له بال لا بالليل و لا بالنهار ، لم يشفق على نفسه و لا على جسمه ، و لم يبال بصحته في سبيل مبدأ أعظم ، و أمة يسوءه حالها ، و يدمي نفسه احتلالها و يدفعه للبدل و السهر مآلها ، و آمالها و آمالها ، أفنى ذاته في سبيل

عقيدة ، و قضى من أجل رسالة ، فجاءه الأجل المحتوم و انتقل للرفيق الأعلى في مساء الثلاثاء بتاريخ 16
أفريل 1940 فتحرّكت قسنطينة بأكملها لتشيع جنازته ، و كان يوما مشهودا في ظروف قاسية و أزمة عالمية
تمثلها حرب طاحنة .

و تدل آثار الشيخ ابن باديس رحمه الله على المعاني السابقة و غيرها كثير و قد صنف الدكتور عمار الطالب
آثاره في جزئين :

- الجزء الأول يشتمل على قسمين :

1- تفسير القرآن الكريم

3- شرح الحديث

و الجزء الثاني : يشتمل على خمسة عشر قسما .

1- إصلاح و ثورة ضد البدع - 2- تربية و تعليم - 3- سياسة - 4- احتجاجات و برقيات - 5- اجتماعيات - 6- خطب
7- شعر - 8- تاريخ - 9- العرب في القرآن - 10- تراجم - 11- القصص الديني التاريخي - 12- رحلات - 13- تطور
الشهاب - 14- الصلاة على النبي - 15- فقه و فتاوى .

2- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي :

أ - مرحلة التكوين و التحصيل الأولي :
(1889-1911)

ولد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بقرية "رأس الوادي" بناحية مدينة سطيف بالشرق الجزائري في 4 جويلية
عام 1889 ، من بيوت العلم و الدين ، قد أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي الذي
اكتشف مواهبه المبكرة ، و كان له الفضل الأكبر في تربيته و تكوينه ، حتى جعل منه ساعده الأيمن في
تعليم الطلبة .

ب - المرحلة المشرقية الأولى : (1911-1920)

هاجر الشيخ السعدي الإبراهيمي أبو محمد البشير الإبراهيمي إلى المدينة المنورة عام 1908 ، هروبا من ويلات الاستعمار الفرنسي و لحق به ابنه محمد البشير سنة 1911 م تأكيدا للتفاعل بين المشرق و المغرب ، مرورا بمصر التي أقام بها ثلاثة أشهر ، التقى خلالها بعدد من علمائها وأدبائها وشعرائها ، وحضر بعض دروس العلم في الأزهر ، وعندما استقر بالمدينة المنورة ، درس فيها على كبار علمائها الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي ، علوم التفسير والحديث ، والفقه والتراجم ، وأنساب العرب ، وأديهم ، ودواوينهم ، كما درس علم المنطق والحكمة المشرقية ، وأمّهات كتب اللغة والأدب ، ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي ، ويقضي أوقات فراغه في المكتبات العامة والخاصة باحثا عن المخطوطات . والتقى خلال إقامته بالمدينة المنورة في موسم حج 1913 بالإمام عبد الحميد بن باديس ، وما من شك في أن تلك اللقاءات شهدت ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء .

في سنة 1917 انتقل الإبراهيمي إلى دمشق حيث دعت حكومتها لتدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية " مكتب عنبر " ، وهي المدرسة العصرية الوحيدة آنذاك بالإضافة إلى إلقاء دروس في الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي ، وقد تخرج على يديه جيل من المثقفين كان لهم أثر بالغ في النهضة العربية الحديثة.

ج - مرحلة الإرهاصات 1920 - 1931

قرر الإبراهيمي العودة إلى الجزائر سنة 1920 وفي مخيلته فكرة حركة تحيي الإسلام والعربية في الوطن وتنشر العلم ، وأعجب بعد وصوله بالنتائج المثمرة التي حققها ابن باديس الذي كان يقود حركة ثقافية وصحفية بمدينة قسنطينة ، فأقام بمدينة سطيف وأنشأ بها مدرسة ومسجدا بعد أن رفض الوظيفة التي عرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية وتعاطى التجارة ليقوم بأود عائلته وبقي على اتصال بابن باديس . وخلال هذه المرحلة تردد على مدينة تونس حيث كان يقيم أصهاره وحيث كانت له صداقات في الأوساط العلمية والأدبية.

د - بدايات جمعية العلماء 1931 - 1940 :

في عام 1931 تأسست (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) كرد فعل إيجابي على احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر ، بعدما أيقنت أن الجزائر قد أصبحت إلى الأبد قطعة منها ، مسيحية الدين فرنسية

اللسان فجاء شعار الجمعية صارخا مدويا في وجه فرنسا وراسما طريق الخلاص منها ،(الإسلام ديننا ،
والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا).

ووضع الإبراهيمي دستور الجمعية وقانونها الأساسي ،وأصبح نائبا لرئيسها الإمام بن باديس ، ومنذ 1933 تكفل
بالمقاطعة الغربية من القطر ، واختار مدينة تلمسان مركزا لنشاطه المكثف وأسس فيها مدرسة (دار الحديث
سنة 1937) ، بنيت على نسق هندسي أندلسي أصيل ، فكانت مركز إشعاع ديني وعلمي وثقافي ، واحتوت على
مدرسة ومسجد وقاعة محاضرات .

ه - قيادة الحركة الدينية والثقافية بالجزائر (1940 - 1952) :

بع أن رفض الإبراهيمي رفضا قاطعا كل محاولات فرنسا لإغوائه واحتوائه ، أو تثبيط عزيمته ، قررت السلطات
الاستعمارية نفيه إلى قرية آفلو في الجنوب الغربي للوطن في مطلع الحرب العالمية الثانية. وبعد أسبوع من
نفيه تلقى خبر وفاة رفيقه الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، وخبر اجتماع أعضاء الجمعية وانتخابهم له
رئيسا رغم الضغوط الفرنسية الرامية إلى انتخاب غيره ، فتحمل مسؤولية قيادة الجمعية غيايا ، وتولى إدارتها
بالمراسلة طول الأعوام الثلاثة التي قضاها في المنفى ، يجوب ربوعها معلما وموجها ومرشدا ، يوحد الصفوف
ويؤسس المدارس والمساجد والنوادي ، ويهيء العقول للساعة كانت تخطط لها نخبة من الحركة السياسية.
وقد زج به في السجن بعد أحداث ماي 1945 ، وبقي فيه عاما كاملا ذاق الأمرين في زنزانة تحت الأرض حيث
الظلمة والرطوبة ، مما استدعى نقله إلى المستشفى العسكري بقسنطينة ، فتحمل هذه المحنة بصبر المجاهد
ويقين المؤمن .وفي سنة 1946 استأنف نشاطه فبعث جريدة البصائر من جديد في السنة الموالية بعد أن
توقفت أثناء الحرب وأشرف على تحريرها كما أسس معهدا ثانويا أطلق عليه اسم رفيقه وصديقه المرحوم عبد
الحميد بن باديس في قسنطينة ، حضيت شهادته بالاعتراف من الجامعة الزيتونية ومن معاهد الشرق العربي
،ومن هذا المعهد تخرج رجال قادوا الثورة المسلحة ، فمنهم من استشهد في الجهاد الأصغر ومنهم ساهم غداة
الاستقلال في إعادة بناء هذا الوطن كقياديين أو إطارات سامية في الدولة ، فكان منهم الوزير والسفير والوالي
والمحافظ والقائد العسكري والأستاذ ومدير الجامعة.

و- مرحلة المشرقية الثالثة (1952 - 1962) :

سافر الإبراهيمي إلى المشرق العربي للمرة الثانية عام 1952 ممثلا لجمعية العلماء ليسعى لدى الحكومات
العربية لقبول بعثات طلابية جزائرية في معاهدها وجامعاتها ، وطلب الإعانة المادية والمعنوية للجمعية حتى

تستطيع مواصلة أعمالها وجهادها ، والتعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط السياسية في الدول التي زارها أو التقى مسؤوليها ولدى جامعة الدول العربية ، وقد اتخذ من مصر منطلقا لنشاطه ، ورعى فيها أولى البعثات الطلابية وكان سفيرا للجزائر وصوتها المدوي ، يلقي المحاضرات والدروس خاصة في مركز الإخوان المسلمين والشبان المسلمين ، والأحاديث الإذاعية قبل الثورة التحريرية وفي أثنائها .

وقد زار في هذا الشأن بعد مصر كلا من المملكة العربية السعودية والعراق وسورية والأردن ، والكويت ، وباكستان .

ووجه يوم 15 نوفمبر 1954 ، أي بعد أسبوعين من اندلاع الثورة نداء إلى الشعب الجزائري يدعو فيه إلى الالتفاف حول الثورة المسلحة ، وخوض غمار الجهاد المقدس والتضحية بالنفس والنفيس ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لحياة العزة والكرامة وكان هذا النداء إسكاتا لكل من يريد التشكيك في شرعية الجهاد باسم الدين ، ودفعا قويا للثورة الفتية .

ز- المرحلة الأخيرة (1962 - 1965) :

وهي المرحلة التي عاد الإبراهيمي فيها إلى الجزائر بعد الاستقلال حتى وفاته في 20 ماي 1965 . وخلال هذه المرحلة اضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب صحته من جهة وبسبب سياسة الدولة التي شعر أنها زاغت عن الاتجاه الإسلامي ، فانحصر نشاطه في حديثين :

-إلقاء أول خطبة جمعة بعد استقلال البلاد ، افتتح بها مسجد "كتشاوة" بالعاصمة ، الذي رجع كما كان مسجدا بعد أن حوله الاستعمار الفرنسي إلى كاتدرائية طوال قرن وثلث ، وقد ألقى الإبراهيمي هذه الخطبة المشهودة بحضور وفود من جميع الدول العربية والإسلامية.

-إصدار بيان 16 أفريل 1964 الذي دعا فيه السلطة آنذاك للعودة إلى الحكمة والصواب ، وإلى جادة الإسلام بعد أن رأى البلاد تنحدر إلى الحرب الأهلية وتنتهج نهجا ينبع من مذاهب دخيلة مضادة لعقيدتنا وروحنا وجذورنا.

4- الشيخ مبارك بن محمد الميلي (1896-1945) :

ولد الشيخ مبارك الميلي في 23 ماي 1896 بالميلية في الشمال القسنطيني ولاية جيجل حاليا ، تلقى دراسته الابتدائية في ميله على يد الشيخ محمد الميلي بن الظريف ، انتقل بعد ذلك إلى قسنطينة حيث درس على الشيخ عبد الحميد بن باديس . وجهه الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى جامع الزيتونة بتونس فالتحق به في 26 سبتمبر 1921 .

درس على عدد من شيوخ الزيتونة مثل: الشيخ بلحسن النجار والشيخ الطاهر بن عاشور ، والشيخ إبراهيم النيفر ، والشيخ عثمان بن الخوجة والشيخ الصادق النيفر ، والشيخ الرصاع وآخرون ، أنهى دراسته الزيتونية عام 1924 .

التحق بقسنطينة حيث شرع في إعطاء دروس بمسجد سيدي قموش ، تحت إشراف الشيخ عبد الحميد بن باديس .

وفي عام 1926 انتقل إلى الأغواط في الجنوب الجزائري ، حيث فتح بها مدرسة لتعليم اللغة العربية ، بعد أن تحصل على رخصة من حاكم الأغواط تسمح له بفتح المدرسة ، تحمل الرخصة تاريخ 24 جانفي 1927 .

ألف "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" بالأغواط ، إذ صدر الجزء الأول سنة 1928 ، وطبع بالمطبعة الإسلامية بقسنطينة التابعة لمجلة الشهاب التي كان يديرها المرحوم أحمد بوشمال ، غادر الأغواط في سبتمبر 1933 ليستقر بميلة . كان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ، وأسندت إليه مهام أمين مال الجمعية منذ عام تأسيسها 1931 ليستقر بميلة .

وفي عام 1937 أسندت إليه مهمة رئيس تحرير البصائر الأسبوعية الصحيفة الناطقة باسم جمعية العلماء . أصدر في عام 1937 كتابا في العقيدة بعنوان "رسالة الشرك ومظاهره" . لما توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس في أفريل 1940 أسندت إليه مهمة نائب رئيس الجمعية التي ترأسها آنذاك الشيخ محمد البشير الإبراهيمي . كلف بالإشراف على دروس الجامع الأخضر التي كان يتولاها الشيخ ابن باديس ، لكنه توقف عن ذلك بسبب المرض فتحولت دروس الجامع الأخضر إلى مدينة تبسة حيث تولى متابعة التدريس لتلاميذ بن باديس ، الشيخ العربي التبسي .

توفي رحمه الله في 9 فيفري 1945 .

5- مالك بن نبي 1905-1973:

1- نشأته :

ولد مالك بن نبي في أول نوفمبر عام 1905 في مدينة قسنطينة، وكان الابن الوحيد لوالديه، وأخا لثلاث شقيقات، عاش مالك منذ سن مبكرة مع خال أمه وزوجته، ولم يلتحق بأسرته الأصلية حتى عندما انتقلت إلى تبسة بعد وفاة الخال .

كان والد مالك خريج المدرسة الرسمية التي كانت تدرس باللغتين العربية والفرنسية، وإليه يعود الفضل في تشجيع ابنه على الدراسة في فرنسا وتزويده بالمال لسنوات عديدة . وقد كانت علاقة مالك الطفل وطيدة بجده لأمه الحاجة زليخة التي كانت تقص علي أحفادها الحكايات الباردة، ويرى أن ضميره قد تشكل أول ما تشكل في هذه المدرسة، إذ عن طريقها ارتسمت في وجدانه تفاصيل أهوال الاستعمار والهجرة القسرية من الوطن، ولقد هاجر جده لأبيه مع الجماعات التي أفرعها قانون التجنيد الإجباري عام 1905، واستقر في ليبيا، ولم يصحبه والد مالك وإنما بقي في الجزائر .

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى كان مالك قد بلغ التاسعة من العمر، وقد عانت أسرته وأهل بلده من شظف العيش ليستقر ثانية مع زوجة خال أمه ليكمل دراسته في قسنطينة، وفي المرحلة الابتدائية يذكر بن نبي أن نجاحه فيها لم يسلم من التمييز العنصري، فمع أنه حصل على معدل أعلى الدرجات طوال السنة الأخيرة من دراسته الابتدائية، فإنه لم يمنح الأولوية التي يستحقها على طلاب فصله، بل منحت لزميله الفرنسي .

2 شبابيه :

التحق مالك في عام 1921 بمدرسة قسنطينة الثانوية التي تحولت فيما بعد إلى ما يسمى بالمدرسة الفرنسية الإسلامية، التي أنشئت أصلاً لتزويد الإدارة الاستعمارية بطبقة من الموظفين -الإداريين- وكانت الدراسة فيها باللغتين العربية والفرنسية .

وفي سنة 1921/1922 تعرف على بعض تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس، فشعر أنهم وإياه ينتمون إلى الخط الفكري عينه وفي هذه المرحلة الدراسية كان يذهب لقضاء العطلة الصيفية عند والدته في تبسة .

وفي السنة 1924/1925، بدأ يفكر في المستقبل، وبعد انتهاء العام الدراسي سافر مع صديق له إلى فرنسا اسمه "قاواو" للبحث عن عمل، فزارا فرنسا، ولم يحظيا بعمل معين، فعادا إلى الجزائر . بعد عودته إلى تبسة كان يتردد على ناد كان يديره الشيخ العربي التبسي وحاول أن يعمل في المحكمة ككاتب، ودخلها كمساعد في البدء، يعمل على تنفيذ الأحكام مع المكلفين بذلك في ريف تبسة، إلى أن عين رسمياً كاتباً في المحاكم وكان مركز عمله الأول في آفلو بمنطقة وهران وقد وصلها في مارس 1927، ومكث بها سنة يعمل في محكمتها. وبعد

سنة في مارس 1928 عاد إلى قسنطينة ،وتعرف لأول مرة على بن باديس ،ومنها انتقل إلى تبسة حيث قضى عطلته ،وبعد العطلة تم نقله إلى محكمة شلغوم العيد ،ولم يكن يعجبه جو العمل في شلغوم العيد نتيجة تسلط كاتب المحكمة الكورسيكي ،فانفجر خلاف بينهما ،إلى أن انتهى باستقالة مالك من الوظيفة.عاد إلى تبسة طيلة عام 1929 ،فاقترح عليه والداه أن يسافر إلى باريس لإكمال الدراسة ،أسوة ببعض من سافر إلى فرنسا في سبتمبر 1930 ،وبعد وصوله قام بتسجيل اسمه لامتحانات القبول بمعهد الدراسات الشرقية.وفي باريس تعرف على "الوحدة المسيحية للشبان الباريسيين" ،التي تأوي شبابا يدرس أو يعمل بعيدا عن أهله.وهكذا أصبح عضوا مسلما في هذه الوحدة المسيحية وهو حدث غير عادي.

يقول مالك أن تكوينه الروحي قد تكامل في هذه الوحدة التي كان يديرها السيد "هنري نازيل" وزوجته روحيا وماديا. لم يوفق بدخول معهد الدراسات الشرقية ..وبعدها دخل مدرسة اللاسلكي لدراسة هندسة الكهرباء.وبين جمعية الشبان المسيحيين ومعهد اللاسلكي لدراسة هندسة الكهرباء.وبين جمعية الشبان المسيحيين ومعهد اللاسلكي ،والحي اللاتيني بباريس بدأت شخصية مالك تتكون بين القيم الاجتماعية والتقنية التي يراها ويعيش في أجوائها حيث يسكن ويتفاعل مع الآلاف من العرب والمغاربة فكريا وسياسيا ،فبدأ مالك يدعو إلى الإصلاح ، والوحدة المغاربية ، ولكل شعار عربي إسلامي.

وفي المرحلة الثانية من حياة مالك عام 1931 تزوج من الفرنسية التي أسلمت وتسمت بخديجة . وبهذا يدخل في حياة جديدة مريحة ، حيث كانت زوجته توفر له كل الراحة والرعاية البيتية ، وهناك بدأت لقاءاته مع كثير من الزملاء للدراسة والعمل والإصلاح ، وكان أبرزهم حمودة بن الساعي. في باريس تعرف على المستشرق الفرنسي "لوي ماسنيون" ، وساءت العلاقة بينهما بسبب عدم الدراية من ابن نبي كما يعترف في مذكراته ، والمعرفة في التعامل مع رجال الاستعمار.وتيسر له مقابلة المهاتما غاندي الذي زار باريس عام 1932م ، وألقى فيها محاضرة حضرّت لها الجمعية التي كان مالك عضوا فيها.

عاد مالك إلى الجزائر سنة 1932 ، فوجد موجة الإصلاح تشمل كل أرجائها ، وبعد عودته إلى باريس زار "دروكس" حيث تقيم والده زوجته في الريف ، فتعرف على وجه آخر لفرنسا. وبقي يزور الجزائر في كل عطلة صيف ، وفوجع بوفاة والدته صيف 1934. لقد عمل مالك من أجل الإصلاح في وسط الجزائريين والعرب والمسلمين دون خوف أو وجل من النتائج لذلك حاربه الاستعمار ، وعلى سبيل المثال يقول "إنني قدمت بعد نهاية دراستي سنة 1936 ، طلبا إلى الوزير المسؤول بباريس من أجل تأسيس معهد بقسنطينة لتحضير الطلبة الذين يرغبون في الدخول إلى كليات الهندسة ... فلم يأتي الرد".

وفي سنة 1938 \ 1939 أسست مدرسة للأمينين الجزائريين بمدينة مرسيليا بين إخواننا العمال المغتربين ، فدعنتني الإدارة المختصة ومنعتني من أن أوصل التدريس في هذا المعهد بحجة أنه ليس لدي مؤهلات..عاد ابن إلى تبسة ، ولكن ما لبثت أن اندلعت الحرب العالمية الثانية ، وضاقت به سبل العيش فعاد إلى فرنسا مع زوجته في 22 سبتمبر 1939 ، ليبقى فيها حتى مجيئه إلى القاهرة سنة 1956. وفي سنة 1939 أصدر كتيباً لم ينشر

عنوانه "الخطوة الجزائرية" ، وأشغل نفسه في هذه المرحلة بالكتابة والعمل الفكري ، فقد عمل صحفياً في صحيفة "le monde" الفرنسية ، وبدأ بالتأليف فأصدر أول كتبه وهو "الظاهرة القرآنية" الذي أصل من خلاله نظريته الاجتماعية ، كما فتح له نافذة الحوار والنقد مع تيار المثقفين الفرنسيين . وفي عام 1949 أخرج كتابه " شروط النهضة " الذي يعالج مشكلة الحضارة والنهضة في العالم الإسلامي .

وفي عام 1954 نشر كتابه " وجهة العالم الإسلامي " الذي عرض فيه نظرية القابلية للاستعمار ، والدورة التاريخية لحركة الأمم والحضارات ، ونقد الحركة الإصلاحية في الأمة ، وواصل كتابته فأصدر رواية "لبيك" وكتاب "فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونج" الذي عقد سنة 1955 بأندونيسية . كما نشرت له مقالات في عدد من الصحف الفرنسية والجزائرية " جريدة الجمهورية الجزائرية " و "الشاب المسلم " إلى سنة 1956 ، حيث غادر إلى مصر بقي فيها ولم يرجع مرة أخرى إلى فرنسا . وفي المرحلة الثالثة من هجرته إلى العالم العربي ما بين 1956 و1963 اتصل بالرئيس عبد الناصر وخصصت له الحكومة المصرية مرتباً شهرياً مما ساعده على التفرغ للعمل الفكري ، بقي في مصر إلى عام 1963 . وبعد استقلال الجزائر رجع إلى الوطن ليعين مديراً للتعليم العالي حتى عام 1976 . وفي القاهرة استطاع ابن نبي إتقان اللغة العربية وبدأ يحاضر ويكتب بها ، وجعل من بيته منتدى ثقافياً يقصده طلبة العرب والمسلمين ، يستمعون إلى أفكار مالك ورؤيته لمسألة الإصلاح .

وأثناء وجوده في القاهرة زار أكثر من مرة سوريا ولبنان لإلقاء الندوات والمحاضرات حول الإصلاح والثورة وفي كيفية مواجهة الاستعمار ، وفي القاهرة أيضاً كان مالك أحد مستشاري مؤسسة المؤتمر الإسلامي التي كان يرأسها أنور السادات ، وكانت هذه الفترة من أخصب مراحل عطائه الفكري و بها تزوج ثانياً بإحدى قريباته ، وأنجب من زوجته الثانية هذه توأم بنات سماهما رحمة ونعمة عام 1961 .

بعد عام 1967 تفرغ مالك بن نبي للعمل الفكري والإصلاحي ، وهكذا قضى ما بقي من سنوات عمره إلى أن توفاه الله تعالى في 31 أكتوبر 1973 بالجزائر العاصمة .

لقد ترك مالك بن نبي أثراً قيماً في مجال الإصلاح والفكر الإسلامي ، وكتبه هي: "الظاهرة القرآنية - شروط النهضة - وجهة العالم الإسلامي - الفكرة الإفريقية لآسيوية - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة - مشكلة الثقافة - ميلاد المجتمع - في مهب المعركة تأملات - إنتاج المستشرقين - القضايا الكبرى - بين الرشاد والتهيه - المسلم في عالم الاقتصاد - دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين - مذكرات شاهد القرن - مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي - العفن .

قائمة المراجع الفكر الإصلاحى فى الجزائر

بتصرف من ص 15 إلى ص 98 عن:

1- عمار طالبى ، آثار ابن باديس ، (تونس : دار الغرب الإسلامى ، المجلد الأول ، ط 4 ، 2008)

بتصرف من ص 9 إلى الصفحة 23 عن:

2- أحمد طالب الإبراهيمى ، آثار محمد البشير الإبراهيمى ، (بيروت: دار الغرب الإسلامى ، المجلد الأول

بتصرف من ص 6 و5 عن

3- مبارك بن محمد الميلى ، رسالة الشرك ومظاهره (بيروت: دار الغرب الإسلامى ، ط 5 ، 2000)

4- أسعد السحمرانى ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا (بيروت : دار النفائس ، ط 2 ، 1986)

5- زكى الميلاد ، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة (دمشق: دار الفكر ، ط 1 ، 1998)

6- سعيد شبار ، الاجتهاد والتجديد فى الفكر الإسلامى المعاصر (بيروت: المعهد العالمى للفكر الإسلامى

، ط 1 ، 2007)